Journal of Arabic Language and Literature (JALSL) • Vol 4, Issue 2 (2025) • P: 76 - 60
https://journals.ajsrp.com/index.php/jalsl
ISSN: 2790-7317 (Online) • ISSN: 2790-7309 (Print)

Israelite stories between language and myth

Co-Prof. Nada Abdullah Aldaher
Madinah International University | Malaysia

Received: 11/03/2025
Revised: 19/03/2025
Accepted: 14/04/2025
Published: 15/06/2025

* Corresponding author: nadaher79@gmail.com

Citation: Aldaher, N. A. (2025). Israelite stories between language and myth. *Journal of Arabic Language Sciences and Literature, 4*(2), 60 – 76. https://doi.org/10.26389/AJSRP.H130325

2025 © AISRP • Arab Institute of Sciences & Research Publishing (AISRP), Palestine, all rights reserved.

• **Open Access**

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license

Abstract: Most of the interpretations included narrations from the Israelites, some of which were raised to the Messenger of God, may God bless him and grant him peace, and perhaps some commentators were enticed by these narrations, and took them as a way to interpret the verses of the Holy Qur'an, and these news are divided into types, including: What Islam approved and testified to its truthfulness is truthful, including: What Islam denied and testified to its lie, it is false, including: What stood from it as a neutral position, and the ways of the commentators differed in their narration, some of them are more than coupled with their chains of transmission such as Al-Tabari, or stripped of the chains of transmission such as al-Baghwi, and some of them mentioned many of them and tracked down Some of what he mentioned by weakening or denial, such as Ibn Kathir, and some of them rejected all and did not mention anything such as Muhammad Rashid Rida, but the understanding of the Holy Qur'an based on the language of its exchange and the like and its significance evacuates such problems and reveals the text,Accordingly, the aim of this research to: Study the compatibility of Israeli novels with the language of the Holy Qur'an in terms of morphological, grammatical and lexicographical, the language is the first and main reference in understanding the texts of the Holy Qur'an, and the fact that the language can not contradict with the reliable novels approved by Islam and agreed with the Israelis, and the research on the analytical approach critical, by reviewing the novel and studying the extent of its conformity with the Holy Qur'an, in terms of language, and the results of the research: The existence of many Israeli narratives is intolerable to language, and therefore these narratives can be rejected and dropped because of the misunderstanding of the Holy Qur'an, distraction from the purpose of the text, and insult to Islam and the prophets.

Keywords: Israeliyyat, semantics (grammatical, morphological, lexical semantics, context), interpretation.

الإسرائيليات بين اللغة والأسطورة

الأستاذ المشارك / ندى عبد الله الضاهر
جامعة المدينة العالمية | ماليزيا

المستخلص: تضمنت معظم التفاسير مرويات من الإسرائيليات، رفع بعضها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وربما اغتر بعض المفسرين بهذه المرويات، واتخذها وسيلة لتفسير آيات القرآن الكريم،وتنقسم هذه الأخبار إلى أنواع؛ منها: ما أقره الإسلام وشهد بصدقه فهو صادق، ومنها: ما أنكره الإسلام وشهد بكذبه، فهو باطل، ومنها: ما وقف منها موقفاً محايداً، واختلفت طرق المفسرين في سردها فمنهم من أكثر منها مقرونة بأسانيدها كالطبري، أو جردها من الأسانيد كالبغوي، ومنهم من ذكر كثيرًا منها وتعقب البعض مما ذكره بالتضعيف أو الإنكار، كابن كثير، ومنهم من ردها كلها ولم يذكر منها شيئًا كمحمد رشيد رضا، إلا أن فهم القرآن الكريم استنادا للغة بصرفها ونحوها ودلالتها يجلو مثل هذه الإشكاليات ويكشف النص،وعليه هدف هذا البحث إلى: دراسة مدى توافق الروايات الإسرائيلية مع لغة القرآن الكريم من النواحي الصرفية والنحوية والمعجمية، فاللغة هي المرجع الأول والرئيس في فهم نصوص القرآن الكريم، واعتمد البحث على المنهج التحليلي النقدي، وذلك باستعراض الرواية ودراسة مدى تطابقها مع القرآن الكريم، من جهة لغوية، ومِن النتائج التي توصَّل لها البحث: وجود كثير من الروايات الإسرائيلية لا تحتملها اللغة، وعليه يمكن رد هذه المرويات وإسقاطها لما تتسبب به من سوء فهم للقرآن الكريم.

الكلماتُ المفتاحية: الإسرائيليات، الدلالة (النحوية، الصرفية، المعجمية دلالة، السياق)، التفسير.

مقدِّمة:

أخذت الإسرائيليات بما تشير له من أخبارَ وتفسيرات تعود لما هو غير موثوق أو أحاديث ضعيفة حيزاً لايستهان به من كتب تفسير القرآن الكريم، ويتراوح الرأي الإسلامي اتجاه هذه الأخبار بين قبول ورفض ووقوف على الحياد حسب موافقتها للشريعة السماوية ووقائع التاريخ.

وتعامل المفسرون مع هذه المرويات كل حسب منهجه، فمنهم من أكثر النقول أو أقلَّها ومنهم من أسندها أو تجاهل أسانيدها ومنهم من ردها بالمجمل فلم يذكر منها شي.

كما ناقش علماء ومفسرون المرويات في تفاسيرهم، أو في كتب متخصصة عنيت بالإسرائيليات والموضوعات، إلا أنها في الغالب نوقشت من جهة صحة رواياتها لا من جهة موافقتها للمدلول اللغوي للنص القرآني، ومع أهمية التفسير بالمأثور، إلا أن اعتماد اللغة في فهم القرآن الكريم لا يدع مجالاً للشك في فهم المعنى، هذا وقد أنزل الله كتابه بلسان عربي مبين،فإن تعارضت الرواية مع الفهم اللغوي للنص فإننا نستطيع الحكم بردها، وفي الحقيقة لا يمكن أن تتعارض الروايات الصحيحة مع النص القرآني بحال من الأحوال، وما يبقى مجالاً للبحث الروايات الضعيفة والتي تحسمها اللغة، فالمعنى المعجمي لطوبى ونعجة ينفي روايات كثيرة في تفسيرها،وعود الضمير لإبراهيم في قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ ..)[1] يمنع محاولة نفي كون آزر أباً لإبراهيم عليه السلام.

لذا؛ فقد عمد هذا البحث إلى دراسة هذه المرويات من حيث موافقتها للغة القرآن الكريم بنظرة لغوية بحتة صرفية ونحوية ومعجمية وسياقية.

ويقع هذا البحث في: مقدمة، وتمهيد، وخاتمة، وأربعة مباحث مقسمة على أبواب اللغة (الصرفي والنحوي والدلالي)، ومبحث أخير في السياق.

إشكالية البحث:

تضمنت بعض كتب التفسير مرويات من الإسرائيليات، رفع بعضها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد اغتر بعض المفسرين بهذه المرويات، واتخذها وسيلة لتفسير آيات القرآن الكريم؛ ويسعى البحثُ للإجابة عن مدى موافقة الرويات الإسرائيلية التي استندت لها كتب التفسير في تفسير بعض الآيات للمعنى اللغوي المستمد من الدلالة المعجمية والصرفية والنحوية وسياق الآيات؟

الدراسات السابقة:

تناولت كثير من الكتب والأبحاث موضوع الإسرائيليات بالدرس، منها: كتاب "الإسرائيليات والموضوعات" لأبي شهبة[2]، وكتاب "الإسرائيليات في التفسير والحديث" لرمزي نعناعة[3]، إلا أن هذه الدراسات تناولت الروايات من جهة صحة الروايات أو عدمها، وينظرهذا البحث إلى الروايات من وجهة لغوية، فما وافق لغة القرآن أخذ به، وما لم يوافق لغة القرآن رد.

منهج البحث:

وقد اعتمد البحثُ على المنهج التحليلي النقدي، وذلك باستعراض الرواية ودراسة مدى تطابقها مع القرآن الكريم، من جهة لغوية.

إجراءاتُ البحث:

- توضيح ماهية الروايات الإسرائيليات؛ من حيث: المعنى والمنشأ وما يندرج تحتها.
- دراسة مدى توافق الروايات الإسرائيلية مع دلالة الآيات الصرفية والنحوية والمعجمية ودلالة السياق.
- الحكم على صحة هذه المرويات من الناحية اللغوية، فضلًا عن حكم العلماء عليها من جهة الرواية.

1 الأنعام 74

2() الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، محمد أبو شهبة، مكتبة السنة، مصر 1408هـ.

3() الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير، رمزي نعناعة، مكتبة النهضة، 1970م.

1- تمهيد:

في التفسير:

فسر المفسرون القرآن بطرق مختلفة، واعتمدوا على مصادر شتى، وقد روى ابن جرير[4] في "تفسيره" عن ابن عباس: "التفسير على أربعة أوجه؛ وجه تعرفه العرب مِن كلامها، وتفسير لا يعذر أحدٌ بجهالتِه، وتفسير يعلمه العلماء[5]، وتفسير لا يعلمه إلا الله".[6]

وقسم العلماء التفسير إلى نوعين رئيسيين: التفسير بالرواية (أوالتفسير بالمأثور)، والتفسير بالدراية (أو التفسير بالرأي)[7]، والتفسير بالمأثور: هو التفسير الذي يعتمد على صحيح المنقول والآثار الواردة في الآية فيذكرها، ولا يجتهد في بيان معنى من غير دليل؛ أما التفسير بالرأي (وهو التفسير بالاجتهاد)، وهوعلى قسمين؛ قسم جارٍ على موافقة كلام العرب، ومناحيهم في القول، مع موافقة الكتاب والسُنَّة، ومراعاة سائر شروط التفسير، وهذا القسم جائز لا شك فيه، وعليه يُحمل كلام المجيزين للتفسير بالرأي؛ وقسم غير جارٍ على قوانين العربية، ولا موافق للأدلة الشرعية، ولا مستوفٍ لشرائط التفسير، وهذا هو المذموم المنهي عنه[8]، كما جاء في الحديث عن ابن عباس عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "من قال في القرآن برأيه أو بما لا يعلم؛ فليتبوأ مقعده من النار".[9]

وذهب الزركشي[10] إلى أن تفسير القرآن قسمان، منه ما ورد تفسيره بالنقل، ومنه ما لم يرد، وبين أن مصادر التفسير الأساسية خمسة، وهي: القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، وأقوال الصحابة، وأقوال التابعين، واللغة وعلومها.[11]

ونبه علماء آخرون إلى أهمية أن يحيط المفسرون بعلم اللغة[12]، قال ابن فارس (395)[13]: «إنَّ العلمَ بلغةِ العربِ واجبٌ على كُلِّ متعلقٍ بعلمِ بالقرآنِ والسُّنَّةِ والفُتْيَا بسببٍ، حتى لا غَنَاءَ بأحدٍ منهم عنه، وذلك أنَّ القرآنَ نازلٌ بلغةِ العربِ، ورسولُ اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم- عربيٌّ، فَمَنْ أرادَ معرفةَ ما في كتابِ اللهِ -جلَّ وعزَّ- وما في سُنَّةِ رسولِ اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم- من كلِّ كلمةٍ غريبةٍ أو نَظْمٍ عجيبٍ، لم يجدْ مِن العلمِ باللغةِ بُدًّا»[14]، وقالَ الشَّاطبيُّ (790)[15]: «لا بُدَّ في فَهْمِ الشَّريعةِ من اتباعِ معهودِ الأمِّيِّينَ، وهم العربُ الذين نزلَ القرآنُ بلسانِهم، فإنْ كانَ للعربِ في لسانِهم عُرْفٌ مُستمِرٌّ، فلا يَصِحُّ العدولُ عنه في فَهْمِ الشَّريعةِ، وإنْ لم يكنْ ثَمَّ عُرْفٌ؛ فلا يَصِحُّ أنْ يُجْرَى في فَهْمِهَا على ما لا تعرفُه،

4() محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، الشهير بالإمام أبو جعفر الطبري، (224 هـ - 310 هـ - 839 / 923م)، إمام من أئمة المسلمين من أهل السنة والجماعة ،مؤرخ ،ومُفسر ،وفقيه مسلم، صاحب أكبر كتابين في التفسير والتاريخ.

5() ويوضحه الطبري بأنه: ما يعلمه العلماء العارفون بالوحي، وكلّما كان العالم بصيرًا بالسُنة ووجوه اللغة، وأسباب النزول، وعمل الصحابة؛ كان للتفسير أبصرَ، وما لا يعرفه بعد ذلك فهو المتشابه، ويتفاوت العلماء في ذلك؛ فقد يكون الموضع متشابهًا عند عالِمٍ، محكمًا بينًا واضحًا عند غيره، ومَن عرف السنة والعربية وعمل السلف وقرائن الحال عند نزول الآي قل المتشابه عنده، وظهر المحكم.

6() جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري (310)، تحقيق: عبدالله التركي، دار هجر للطباعة، 70/2001.

7() التفسير والمفسرون، محمد الذهبي، 1998م، مكتبة وهبة، القاهرة، 112.

8() وأوافق رأي الدكتور مساعد الطيار في قوله: إن تقسيم التفسير على هذا النحو فيه قصورٌ ظاهرٌ؛ وذلك لأمرين: الأول: أن أغلب من قسّم هذا التقسيم جعل حكم المأثور وجوب الأخذ به على إطلاقه، مع أن بعضهم يحكي خلاف العلماء في قبول أقوال التابعين، كما ينسى حكم ما اختلفوا فيه: كيف يجب الأخذ به مع وجود الاختلاف بينهم؟

الثاني: أن في ذلك تناسيًا للجهد التفسيري الذي قام به السلف، وتجاهلًا لرأيهم في التفسير الذي يُعَدّون أول من بذره وأنتجه، إن المقابلة بين التفسير بالمأثور (على أنه تفسير القرآن بالقرآن، ثم بالسنة، ثم بأقوال الصحابة، ثم بأقوال التابعين) والتفسير بالرأي (على أنه ما عدا ذلك) خطأ محضٌ لا دليل عليه من قول السلف أو من العقل.

إن تسمية تفسير السلف تفسيرًا بالمأثور -باعتبار أن طريق الوصول إليه هو الأثر- تسميةٌ لا غبار عليها، وهو بهذا لا يقابل التفسير بالرأي، بل التفسير بالرأي ممتزج فيه؛ لأن من تفسيرهم ما هو نقلٌ لا يصح تركه أو إنكاره؛ كأسباب النزول، ومنه ما هو استدلال وقولٌ بالرأي، وكلا هذين عنهما؛ إنما طريقنا إليه هو الأثر. مقالة في نقد مصطلح التفسير بالمأثور في مجلة البيان العدد (76) في شهر ذي الحجة عام 1414هـ

9() الجامع الكبير، سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (279هـ)، تحيقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، 5-45، وانظر: فضائل القرآن، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (303هـ)، تحقيق: فاروق حمادة، دار إحياء العلوم / دار الثقافة، بيروت / الدار البيضاء، الطبعة: الثانية، 1992/ 109.

10() أبو عبد الله، بدر الدين، محمد بن بن بهادر بن عبد الله الزركشي، المصري، فقيه ومحدث، له مشاركة في علوم كثيرة، وُلد في القاهرة سنة 745هـ، وتُوفي سنة 794هـ، رحل إلى حلب، وأخذ عن الشيخ شهاب الدين الأذرعي، وأخذ عن علماء حلب، وسافر إلى دمشق، وسمع الحديث من شيوخها.

11() البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي (794هـ)، تحقيق: محمد إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، لبنان، 1957/2-172.

12() للتوسع انظر: التفسير اللغوي للقرآن الكريم، مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار ،دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، 1432هـ.

13() أحمد بن فارس القزويني الرازي، إمام في اللغة والأدب، له مؤلفات كثيرة كمعجم مقاييس اللغة، والصاحبي في فقه اللغة.

14() الصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس، تحقيق: السيد أحمد صقر، مطبعة الحلبي، القاهرة، /50.

15() هو أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، من علماء الأندلس، من مؤلفاته: كتاب المقاصد وهو شرح للألفية.

وهذا جَارٍ في المعاني والألفاظِ والأساليبِ»[16]، وقرر السيوطي[17] في كتابه "الإتقان في علوم القرآن": أن العلوم التي يحتاج المفسر إليها وهي خمسة عشر علمًا، عد منها سبعة علوم تعود للغة، وهي: اللغة، والنحو، والتصريف، والاشتقاق، والمعاني، والبيان، والبديع.[18]

في الإسرائيليات:

تعريف الإسرائيليات: نسبة إلى بنى إسرائيل، وهم أبناء يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، والإسرائيليات كمصطلح: قصة أو حادثة تروى عن مصدر إسرائيل سواء كان هذا المصدر شخص ككعب الأحبار، وعبد الله بن سلام، أو كان كتب اليهود والنصارى كالتوراة، الزبور، والتلمود، وتوسع علماء التفسير والحديث في إطلاق المصطلح على كل ما تطرق إلى التفسير والحديث من أساطير قديمة منسوبة إلى أهل الملل والأديان الأخرى.[19]

ولقد اختلف موقف العلماء -ولا سيما المفسرون- من هذه الإسرائيليات على ثلاث أنحاء:

1- فمنهم من أكثر منها مقرونة بأسانيدها، ورأى أنه بذكر أسانيدها خرج من عهدتها، مثل ابن جرير الطبري.
2- ومنهم من أكثر منها، وجردها من الأسانيد غالبًا، مثل البغوي.[20]
3- ومنهم من ذكر كثيرًا منها، وتعقب البعض مما ذكره بالتضعيف أو الإنكار، مثل ابن كثير.
4- ومنهم من ردها، ولم يذكر منها شيئًا يجعله تفسيرًا للقرآن، كمحمد رشيد رضا[21] في تفسير المنار[22]، والإمام الشوكاني[23]، والإمام الألوسي.[24]

ومن أكثر من روى الإسرائيليات أبو هريرة -رضي الله عنه-[25] الذي رماه بعضهم بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم[26]، وقد تصدى لمثل هذه الاتهامات علماء المسلمين[27]، وممن أخذ عن أهل الكتاب بشكل مباشر عبدالله بن عباس[28] رضي الله عنه، وقد اتهمه جولدتسيهر بالتهاون أيضًا في النقل عنهم[29]، ومنهم عبدالله بن عمر[30]، وعبدالله بن سلام[31]، وتميم الداري[32]، وكعب الأحبار[33]، ولم يسلموا من الطعن، ولهم مالهم وعليهم ما عليهم.

وأباح رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الرواية عن بني اسرائيل في قوله: "بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي فليتبوأ مقعده من النار"[34]، ومما يستدل به من القرآن الكريم قوله تعالى:)كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) [آل عمران:93]، وفي حديث آخر: "لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذي أنزل علينا"[35]، فأما فيما يغلب على الظنون كذبه، فليس من هذا القبيل، بدليل قوله -صلى الله عليه وسلم-

16() الموافقات، أبو إسحاق الشاطبي، تحقيق: أبو عبيدة آل سلمان، دار عثمان، السعودية، الطبعة الثانية، 1997 /2 – 131.

17() جلال الدين السيوطي من علماء المسلمين، وله مؤلفات كثيرة، أشهرها: الإتقان، وطبقات المفسرين، ومتشابه القرآن.

18() الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة 1974/2 - 213.

19() انظر: الإسرائيليات والموضوعات، أبو شهبة /12 وما بعدها، الإسرائيلبات وأثرها في التفسير نعناعة /73، الإسرائيليات في التفسير الحديث، للذهبي /19 ومابعدها.

20() الحافظ البغوي، واسمه أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، (122ه) لقب بمحي السنة، وصاحب تفسير "معالم التفسير".

21() محمد رشسد رضا (1282ه)، مفكر إسلامي، وصاحب تفسير المنار.

22() وقع المنار في تفسيرة برواية بعض من الإسرائيليات أيضًا دون التنبيه إلى مصدرها، الذهبي، 147.

23() محمد بن علي الشوكاني، (1229)، من كبار علماء اليمن، وصاحب تفسير "فتح القدير".

24() محمود شهاب الدين، أبو الثناء الحسيني الألوسي،)1803م) مفسر، ومحدث ،وفقيه، وأديب، وشاعر، وصاحب تفسير "روح المعاني".

25()عبد الرحمن بن صخر الدوسي (59ه)، لزم النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو من أكثر من روى عنه صلى الله عليه وسلم.

26() انظر:أضواء على السنة المحمدية، محمود أبو رية، الطبعة السادسة، دار المعارف، القاهرة، 175 .

27() انظر: رد محمد ابو شهبة عليه في كتابه دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين (1403ه)، مكتبة السنة 123/1989، والإسرائيليات للذهبي، ص 59 وما بعدها.

28() عبدالله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم (687)، حبر الأمة وفقيهها وإمام التفسير وترجمان القرآن.

29() المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن الكريم، جولد تسهر، ترجمة: على حسن عبد القادر، دار العلوم، ص 67.

30() عبدالله بن عمر بن الخطاب (73ه) من المكثرين من رواية الحديث النبوي.

31() عبدالله بن سلام بن الحرث (43ه) صحابي جليل روى الحديث.

32() تميم الداري (40ه) اشتهر بقصة لقائه المسيح الدجال في عهد النبي.

33() كعب من ماتع الحميري (660ه) عالمًا بالإسرائيليات وتفسير القرآن.

34() صحيح البخاري، 3274.

35() صحيح البخاري، كتاب التفسير 6928.

حديث: أن عمر بن الخطاب أتى النبي -صلى الله عليه وسلم- بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه؛ فغضب النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: "أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق، فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى -صلى الله عليه وسلم- كان حيًّا ما وسعه إلا أن يتبعني".[36]

وقد بين ابن كثير في مقدمة تفسيره ذلك، وبين المخرج منه، فقال: (ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتضاد؛ فإنها على ثلاثة أقسام: أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق؛ فذاك صحيح. والثاني: ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه. الثالث: ما هو مسكوت عنه، لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل؛ فلا نؤمن به ولا نكذبه، ويجوز حكايته؛ لما تقدم، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود لأمر ديني).[37]

2- المبحث الأول: توافق الرواية الإسرائيلية مع اللغة الناحية الصرفية:

يهدف هذا المبحث إلى دراسة بعض الإسرائيليات المتعلقة بالبنية الصرفية، والوقوف على مدى تطابق هذه المرويات مع الدلالة الصرفية للكلمة.

2-1 التعريف والتنكير:

والنكرة: أصل للمعرفة لاندراج كل معرفة تحتها[38]. وعرّفت بأنها: "ما وضع لشيء لا بعينه، كرجل، وفرس"[39]، وهي إما أن تدل على الوحدة أو على الجنسية.[40]

والحقيقة: أن كثير من الإسرائيليات يمكن دحضه بالاستناد إلى هذا الباب، أذكر منها قوله تعالى:)حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) [النمل:18]؛ حيث أفاض المفسرون في الحديث عن النملة التي كلمت سليمان عليه السلام؛ حجمها واسمها، وأنها عرجاء إلى غير ذلك، وشاعت هذه التفسيرات في معظم كتب التفسير، ومنها ما نقله الزمخشري في تفسيره يقول: "فسمع سليمان كلامها من ثلاثة أميال. وقيل: كان اسمها طاخية".[41]

ويذكر القرطبي اسم النملة مستنكراً، ثم يبرر لذكر اسمها فيقول: "فَإِنْ صَحَّ مَا قَالُوهُ فَلَهُ وَجْهٌ، وَهُوَ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ النَّمْلَةُ النَّاطِقَةُ قَدْ سُمِّيَتْ بِهَذَا الِاسْمِ فِي التَّوْرَاةِ أَوْ فِي الزَّبُورِ أَوْ فِي بَعْضِ الصُّحُفِ سَمَّاهَا اللَّهُ تَعَالَى بِهَذَا الِاسْمِ، وَعَرَّفَهَا بِهِ الْأَنْبِيَاءَ قَبْلَ سُلَيْمَانَ أَوْ بَعْضَهُمْ، وَخُصَّتْ بِالتَّسْمِيَةِ لِنُطْقِهَا وَإِيمَانِهَا فَهَذَا وَجْهٌ".[42]

ويقول ابن كثير: أَوْرَدَ ابْنُ عَسَاكِرَ مِنْ طَرِيقِ إِسْحَاقَ بْنِ بِشْرٍ عَنْ سَعِيدٍ عَنْ قَتَادَةَ عَنِ الْحَسَنِ أَنَّ اسْمَ هَذِهِ النَّمْلَةِ حَرَسُ، وَأَنَّهَا مِنْ قَبِيلَةٍ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو الشَّيْصَانِ، وأنها كانت عرجاء، وكانت بقدر الذئب، ... وَعَنْ نَوْفٍ الْبِكَالِيِّ أَنَّهُ قَالَ: كَانَ نَمْلُ سُلَيْمَانَ أَمْثَالَ الذِّئَابِ، هَكَذَا رَأَيْتُهُ مَضْبُوطًا بِالْيَاءِ الْمُثَنَّاةِ مِنْ تَحْتٍ، وَإِنَّمَا هُوَ بِالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ وَذَلِكَ تَصْحِيفٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ".[43]

واستنكر أبو حيان ذكرهم لأوصاف النملة واسمها بقوله: "وَذَكَرُوا اخْتِلَافًا فِي صِغَرِ النَّمْلَةِ وَكِبَرِهَا، وَفِي اسْمِهَا الْعَلَمِ مَا لَفْظُهُ، وَلَيْتَ شِعْرِي، مَنِ الَّذِي وَضَعَ لَهَا لَفْظًا يَخُصُّهَا، أَبَنُو آدَمَ أَمِ النَّمْلُ؟ وَقَالُوا: كَانَتْ نَمْلَةً عَرْجَاءَ"[44]، وكذلك استنكرها الألوسي بنفس العبارة التي ذكرها أبو حيان.[45]

36() حديث صحيح، رواه أحمد (387/3) عن جابر بن عبد الله، وحسنه الألباني في الإرواء (1589).

37() انظر: مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية (728ه)، عدنان زرزور، جامعة دمشق، 1972، ص95 ومابعدها ونقل عنه ابن كثير في تفسيره. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (744ه)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971، ص8.

38() شرح كتاب الحدود في النحو، عبدالله ابن مكي، تحقيق: متولي الدميري، الطبعة الأولى، 1988، ص133.

39() كتاب التعريفات، علي الجرجاني، (816)، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993، ص246.

40() الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى العلوي (745ه)، المكتبة العصرية، بيروت، 1424، ص2-8، دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني،، تحقيق: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، 1992م، 142/1.

41() الكشاف عن حقائق التنزيل، أبو القاسم الزمخشري (ه523)، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407م، 3/ 355

42() الجامع لأحكام القرآن، أبو عبدالله القرطبي (671ه)، تحقيق: أحمد البردوني، دار الكتب العلمية، القاهرة، 1964م، 169/13.

43() تفسير ابن كثير، أبو الفداء (774ه)، ص 165-166.

44() تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي (745ه)، تحقيق: صدقي جميل، دار الفكر، بيروت، (1420ه)، 219/8.

45() روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي (1270ه)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية بيروت، 1415ه، 172/10.

ويكفي القول في هذا النموذج وما شابهه أن كلمة "نملة" في الآية جاءت نكرة، تفيد معنى الجنس، والوحدة دون أي تقييد، وعدم وجود دليل صحيح، يبين اسم النملة وحالها، ينفي صحة هذا الكلام، فاللغة لا تحتمل هذه التأويلات البعيدة، والتقيد باللغة أدعى وأكرم من الخوض في مثل هذه التأويلات.

وللتنكير نماذج كثيرة، كما قوله تعالى:)وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ([النمل:35].

فقد فصل المفسرون القول بالهدية التي أرسلتها ملكة سبأ لسليمان عليه السلام، وبما أن هذه الروايات ليست موثوقة واللفظة جاءت خالية من التعريف أو البيان؛ فالأولى أن نقف عندها، وَهذا ما قاله أبو حيان يقول: "جَاءَ لَفْظُ الْهَدِيَّةِ مُبْهَمًا، وَقَدْ ذَكَرُوا فِي تَعْيِينِهَا أَقْوَالًا مُضْطَرِبَةً مُتَعَارِضَةً، وَذَكَرُوا مِنْ حِيَلِهَا وَمِنْ حَالِ سُلَيْمَانَ حِينَ وَصَلَتْ إِلَيْهِ الْهَدِيَّةُ، وَكَلَامِهِ مَعَ رُسُلِهَا مَا اللَّهُ أَعْلَمُ بِهِ".[46]

ومنه استفاضتهم في وصف الغلام واسمه في قوله تعالى:)فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا) [الكهف: 74]؛ ووصفهم للدابة في قوله تعالى:)وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ) [النمل: 82]، ووصف المائدة في قوله تعالى:)إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (112) قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ (113) قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (114)) [المائدة: 112 - 114].

وربما كان التنكير من وجه آخر، هو ما سهل على الوضاعين الصاق الرويات والتأويلات، والإكثار منها باعتبار أن الأمر غير محدد.

2-2 العدد من حيث الإفراد والجمع.

ومنه ذكر بعض المفسرين أن عدد قرى لوط خمس قرى، وهذا لا يتفق مع الآيات؛ حيث وردت لفظة "القرية" مفردة في كل الآيات التي تحدثت عن قوم لوط.

قال تعالى: (وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ) [الأنبياء:74]، وقال تعالى: (وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ (31) قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (32)) [العنكبوت: 31- 32]، وقال تعالى: (إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) [العنكبوت: 34].

3-2 التذكير والتأنيث:

كما في محاولة المفسرين تحديد جنس النملة في قوله سبحانه: (حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) [النمل: 18]، وفي تفسير الزمخشري يقول: وعن قتادة أنه دخل الكوفة، فالتف عليه الناس، فقال: سلوا عما شئتم، وكان أبو حنيفة -رحمه الله- حاضرًا وهو غلام حدث. فقال: سلوه عن نملة سليمان؛ أكانت ذكرًا أم أنثى؟ فسألوه؛ فأفحم، فقال أبو حنيفة: كانت أنثى، فقيل له: من أين عرفت؟ قال: من كتاب الله، وهو قوله قالَتْ نَمْلَةٌ، ولو كانت ذكرًا لقال: قال نملة، وذلك أنّ النملة مثل الحمامة والشاة في وقوعها على الذكر والأنثى، فيميز بينهما بعلامة، نحو قولهم: حمامة ذكر[47]، واعترض ابن حيان على هذا الكلام بقوله: وَلُحُوقُ التَّاءِ فِي "قَالَتْ" لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ النَّمْلَةَ مُؤَنَّثٌ، بَلْ يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ فِي الْمُذَكَّرِ: قَالَتْ نَمْلَةٌ، لِأَنَّ نَمْلَةً، وَإِنْ كَانَ بِالتَّاءِ، هُوَ مِمَّا لَا يَتَمَيَّزُ فِيهِ الْمُذَكَّرُ مِنَ الْمُؤَنَّثِ.

وَمَا كَانَ كَذَلِكَ، كَالنَّمْلَةِ وَالْقَمْلَةِ، مِمَّا بَيْنَهُ فِي الْجَمْعِ وَبَيْنَ وَاحِدِهِ مِنَ الْحَيَوَانِ تَاءُ التَّأْنِيثِ، فَإِنَّهُ يُخْبِرُ عَنْهُ أَخْبَارَ الْمُؤَنَّثِ، وَلَا يَدُلُّ كَوْنُهُ يُخْبِرُ عَنْهُ أَخْبَارَ الْمُؤَنَّثِ عَلَى أَنَّهُ ذَكَرٌ أَوْ أُنْثَى، لِأَنَّ التَّاءَ دَخَلَتْ فِيهِ لِلْفَرْقِ، لَا دَالَّةً عَلَى التَّأْنِيثِ الْحَقِيقِيِّ، بَلْ دَالَّةً عَلَى الْوَاحِدِ مِنْ هَذَا الْجِنْسِ.[48]

كما اعترض الألوسي عليه، وفصل القول فيه، ومنه قوله : (قالت نملة روعي فيه تأنيث اللفظ، وأما المعنى فيحتمل التذكير والتأنيث على حد سواء، وكيف يسأل أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه بهذا؟ ويفحم به قتادة مع غزارة علمه؟ والأشبه أن ذلك لا يصح عنهما)[50].[49]

3- المبحث الثاني: توافق الرواية الإسرائيلية مع اللغة من الناحية النحوية:

يندرج تحت هذا المبحث عدد من النماذج لبعض الإسرائيلية، ويدرس مدى توافقها مع اللغة من الناحية النحوية.

46() البحر المحيط، 236/8.

47() تفسير الزمخشري، 356/3.

48() تفسير أبي حيان، 219/8.

49() روح المعاني، 172/10-17.

50 ()وهذا النموذج ينتمي للإسرائيليات بمعناها الواسع كما وضحت في التمهيد عن معنى الإسرائيليات.

3-1 التقديم والتأخير:

ومنه ما ذكره بعض المفسرين من روايات في توجيه (الهم) في قوله تعالى: (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّأَىٰ بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ) [يوسف: 24]، بأنه حاصل من قبل يوسف عليه السلام[51]، ووجه بعضهم الآخر الهم بأنه هم فكر، كما وجهها آخرون بأن في السياق تقديم وتأخير، والمعنى أنه همت به، ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها، ومنهم أبو حيان يقول: لَقَدْ قَارَفْتَ لَوْلَا أَنْ عَصَمَكَ اللَّهُ، وَلَا تَقُولُ: إِنَّ جَوَابَ لَوْلَا مُتَقَدِّمٌ عَلَيْهَا[52]، وَإِنْ كَانَ لَا يَقُومُ دَلِيلٌ عَلَى امْتِنَاعِ ذَلِكَ، بَلْ صَرِيحُ أَدَوَاتِ الشَّرْطِ الْعَامِلَةِ مُخْتَلِفٌ فِي جَوَازِ تَقْدِيمِ أَجْوِبَتِهَا عَلَيْهَا، وَقَدْ ذَهَبَ إِلَى ذَلِكَ الْكُوفِيُّونَ، وَمِنْ أَعْلَامِ الْبَصْرِيِّينَ أَبُو زَيْدٍ الْأَنْصَارِيُّ، وَأَبُو الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدُ. بَلْ نَقُولُ: أَنَّ جَوَابَ لَوْلَا مَحْذُوفٌ لِدَلَالَةِ مَا قَبْلَهُ عَلَيْهِ، كَمَا تَقُولُ جُمْهُورُ الْبَصْرِيِّينَ فِي قَوْلِ الْعَرَبِ: أَنْتَ ظَالِمٌ إِنْ فَعَلْتَ، فَيُقَدِّرُونَهُ إِنْ فَعَلْتَ فَأَنْتَ ظَالِمٌ، وَلَا يَدُلُّ قَوْلُهُ: أَنْتَ ظَالِمٌ عَلَى ثُبُوتِ الظُّلْمِ، بَلْ هُوَ مُثْبَتٌ عَلَى تَقْدِيرِ وُجُودِ الْفِعْلِ، وَكَذَلِكَ هُنَا التَّقْدِيرُ لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ لَهُمْ بِهَا، فكان موجدًا الهم عَلَى تَقْدِيرِ انْتِفَاءِ رُؤْيَةِ الْبُرْهَانِ، لَكِنَّهُ وَجَدَ رُؤْيَةَ الْبُرْهَانِ فَانْتَفَى الْهَمُّ[53]، وهو رأي جيد وموافق للتراكيب النحوية، وموافق لِلِسَانِ الْعَرَبِ كما قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ) [القصص: 10]، وَالتَّقْدِيرُ: لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لَكَادَتْ تُبْدِي بِهِ، والسياق لا يحتمل غير هذا المعنى، فهي لم تبدي به قطعًا.

ومقارنة بالتوراة؛ فإن التوراة توافق القرآن في أن سيدنا يوسف -عليه السلام- لم يقترف إثما (مراودة المرأة ليوسف وبنفس الألفاظ التي تأبى بها يوسف: "هو ذا سيدي قد عهد إلي بكل ما يملك؛ فكيف أقترف هذا الشر العظيم وأخطئ إلى الله؟!).[54]

3-2 العطف بالفاء:

ومنه حمل قابيل لهابيل[55] بعد قتله مدة عام حتى أنتن[56]، وقيل مائة عام[57]، وما روى عن كعب: أن الدم الذي على جبل قاسيون هو دم ابن آدم، وعن وهب: أن الأرض نشفت دم ابن آدم فلعن ابن آدم الأرض، فمن أجل ذلك لا تنشف الأرض دمًا بعد دم هابيل إلى يوم القيامة، وأن قابيل حمل هابيل سنة في جراب على عنقه، حتى أنتن وتغير؛ فبعث الله الغرابين قتل أحدهما الآخر، فحفر له، ودفنه، برجليه ومنقاره، فعلم كيف يصنع بأخيه[58]،والقرآن اتبع الحدث الحدث برابط الفاء، التي تدل على الترتيب والتعقيب من غير تراخ، قال تعالى:)فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ([المائدة:31]، بعد قوله تعالى: (فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ)[المائدة:30].

3-3 البدل :

ومنه اختلاف المفسرين في معنى "إرم" في قوله تعالى :) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (6) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (7) ([الفجر: 6- 7]، فمنهم من جعلها اسمًا لقوم عاد على البدل منها، بدل كل أو تبعيض، كابن جرير، وابن كثير، محتجين بذلك أنه لو كان اسمًا لمدينة لكانت الآية التي لم يبن مثلها[59]،وليس لم يخلق مثلها، فالخلق يكون للأحياء،ومن المعلوم أن الخلق يكون للأحياء والأموات، ومنهم من عدها اسمًا لمدينة كما هي عاد اسم مدينة على البدل منها، وآخرون اعتبروا "عادًا" اسمًا لقوم في حين عدوا "إرم" اسمًا لمدينة[60]، ويؤيده قراءة ابن الزبير: "بعاد إرم"، على الإضافة، وتقديره: بعاد أهل إرم، كقوله:)وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ([يوسف: 82]، ويؤيده وصف المدينة بأنها ذات عماد، ، ولم تنصرف قوماً كانت أو أرضًا للتعريف والتأنيث.

51() تفسير القرطبي ، 166/9، الدر المثور، عبد الرحمن السيوطي، دار الفكر، بيروت، 521/4، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود مصطفى، (982ه)، دار إحياء الترث، بيروت، وغيرها من التفاسير.

52

53)) تفسير أبي حيان، 258/6 بتصرف .

54() سفر التكوين، 39.

55() لا يوجد دليل موثوق في تسمية قابيل وهابيل.

56() تفسير الزمخشري، 626/1.

57() الطبري، 28/3.

58() الدر المنثور، 60/3.

59() تفسير الطبري، 364/24، تفسير ابن كثير، 385/8.

60() وذكر الزمخشري أن ذات العماد اسم المدينة، انظر: تفسيره، 748/4، وذكر الألوسي أن إرم مصدر "أرم" بمعنى هلك، أي: كيف فعل ربك بعاد كهلاك ذات العماد؟! وعده قولًا غريبًا. انظر: تفسيره، 338/15.

4-3 عود الضمير:

ومنه عود ضمير "أبيه" في قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) [الأنعام:74].

وفي المقاييس: الهمزة والباء والواو تدلّ على التربية والغَذو، أبَوْتُ الشيء آبُوه أَبْوًا؛ إذا غذوته، وبذلك سمّي الأب أبًا، ويقال في النسبة إلى أبٍ "أبَوِيّ"[61]، والأب يطلق على الوالد حقيقة، ويطلق على غيره كالعمّ والجَدّ، تَجَوُّزًا وتوسُّعًا في التعبير، والأصل حمل اللفظ على الحقيقة، ولا يُحمل على غيرها إلا عند الضرورة، ووجود قرينة تدل على ذلك.

فالآية تصرح أنَّ "آزَرَ" هو أبو إبراهيم، وقالوا: سمي في التوراة "تارَخ"، فاسمه "تارَخ"، ولقبه "آزر"!، يقول ابن منظور في (لسان العرب): « وقيل: "آزرُ" عندهم ذمٌّ في لغتهم، كأنه قال: وإذ قالَ إبراهيمُ لأبيه الخاطئ... »[62]، وقال الراغب في المفردات: «قيل: كان اسم أبيه "تارَخ"، فعُرِّبَ فجُعل "آزرَ"، وقيل: "آزرُ" معناه: الضالُّ في لغتهم... ».[63]

وادَّعاءُ أنه معرَّبٌ مردودٌ؛ لأنه لو كان معربًا لكان مصروفًا، ولكان في الآية مجرورًا بالكسرة، ولقال: "لأَبيه آزرٍ".[64]

وقراءة التسعة بالنصب -ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وأبو جعفر، وخلف- بالفتح: "لأبيه آزرَ"، على أنه بدل من "أَبيه" مجرور بالفتحة؛ لأنه ممنوع من الصرف، وقراءة يعقوب الحضرمي: "آزَرُ" بالضم، على أنه منادى مبني على الضم؛ لأنه مفرد، أي: إذ قال إبراهيم لأبيه: "يا آزرُ أَتتخذُ أصنامًا آلهة؟"[65]

وبعيدًا عن الروايات واستنادًا إلى اللغة فإن قوله تعالى: ﴿أبيه﴾ بما فيها من ضمير عائد إلى إبراهيم -عليه السلام- لا يتأثر بكون اسم أبيه "آزر"، أو أنه ذم بمعنى مخطئ؛ فهو على كل التأويلات قول إبراهيم لأبيه بدليل عود الضمير.

ومن عود الضمير: عودُ الضمير في (يشركون) في قوله تعالى : (فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ۚ فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) [الأعراف: 190] ؛ و كثرت الروايات الإسرائيلية التي تفسر هذه الآية، منه ما ذكره الطبري قال: كانت حوّاء تلد لآدم، فتعبّدهم لله، وتسميه "عبيد الله" و"عبد الله" ونحو ذلك؛ فيصيبهم الموت، فأتاها إبليسُ وآدمَ، فقال: إنكما لو تسميانه بغير الذي تسميانه لعاش! فولدت له رجلًا فسماه "عبد الحارث"[66]، ففيه أنزل الله تبارك وتعالى: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) [الأعراف: 189]، ورد القرطبي على هذا الكلام بقوله: وقال قوم: إن هذا راجع إلى جنس الآدميين، والتبيين عن حال المشركين من ذرية آدم عليه السلام، وهو الذي يعول عليه؛ فقوله: (جعلا له شركاء) يعني الذكر والأنثى الكافرين، ويعني به الجنسين، ودل على هذا: (فتعالى الله عما يشركون)، ولم يقل يشركان، وهذا قول حسن، وقيل: المعنى هو الذي خلقكم من نفس واحدة من هيئة واحدة وشكل واحد، وجعل منها زوجها، أي: من جنسها، فلما تغشاها يعني الجنسين، وعلى هذا القول لا يكون لآدم وحواء ذكر في الآية، فإذا آتاهما الولد صالحًا سليمًا سويًّا -كما أراداه- صرفاه عن الفطرة إلى الشرك، فهذا فعل المشركين.[67]

ومن هذا الباب اختلافهم في عود للضمير في قوله تعالى:)ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ([يوسف: 52]، فمنهم من قال يوسف -عليه السلام- ومنهم من قال امرأة العزيز، ومن الإسرائيليات التي نقلت في كتب التفسير: أن يوسف قال هذا الكلام، فغمزه جبريل -عليه السلام- وقال: ولا حين هممت بها[68] فقال: (وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [يوسف:53]، والحقيقة: وإن كان السياق اللغوي يؤيد أن القول لسيدنا يوسف عليه السلام، وذلك أن الخيانة واقعة من طرف امرأة العزيز لا محالة، إلا أن إيراد مثل هذه الروايات في كتب التفسير يعد تشويهًا للنص واعتداءً عليه، وقوله:)وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ

61() معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، 1399هـ - 1979م. 1.

62() لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (711هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1414هـ

63() المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهانى، (502هـ) تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، 1412هـ، 77/1.

64() التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (616هـ) تحقيق: علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 51/1.

65()معجم القراءات، عبد اللطيف خبير، دار سعد الدين، 2/ 462.

66 تفسير الطبري،13/ 311.

67() تفسير القرطبي، 337/7.

68() انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (150هـ)، تحقيق عبد الله محمود شحاتة، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة: الأولى، 1423هـ، 340/2، وانظر: تفسير الضحاك، تحقيق: محمد شكري الزاويتي، دار السلام، القاهرة، 1999م، 472/1.

بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ([يوسف: 53] تدل على المعنى الذي دلت عليه كلمة "لولا" في المثال السابق[69] من أن المعنى لولا أن رأى برهان ربه لهم بها، فاعترف سيدنا يوسف بأقل ما وقع فيه من الإثم، وهو الرغبة في حال عدم خشية الله، علمًا بأن التوراة نفت الهم عن سيدنا يوسف عليه السلام؛ موافقة القرآن في ذلك يقول :هو ذا سيدي قد عهد إلي بكل ما يملك؛ فكيف أقترف هذا الشر العظيم وأخطئ إلى الله ؟[70]

5-3 ما بين النفي والموصولية:

ومنه اختلافهم في ما بين النفي والوصل في قول الله تعالى: (وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ) [البقرة: 102].

ذكرت التفاسير روايات كثيرة لقصة هاروت وماروت؛ منها: أنهما ملكان نزلا للأرض ليعلمان الناس السحر، وقيل: أنهما رجلان صالحان إلى غير ذلك من الروايات.[71]

أما فيما يخص "ما" فقد روى الطبري –بإسناده- إلى ابن عباس -رضي الله عنهما- في قوله تعالى: (وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ) [البقرة: 102] قال: لم يُنْزِل الله السِّحْر، وروى أيضًا عن الربيع بن أنس (وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ) [البقرة: 102] قال: ما أنْزَل الله عليهما السِّحْر[72]، ثم قال ابن جرير: فَتَأويل الآيَة عَلى هَذا الْمَعْنَى الذي ذَكَرْنَاه عن ابن عباس والرَّبِيع مِن تَوجِيههما مَعْنَى قَوله: (وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ) إلى: "ولم يُنْزِل على الْمَلَكَين"، واتَّبَعُوا الذي تَتْلُوا الشَّياطِين عَلى مُلْك سُلَيمَان مِن السِّحْر، وما كَفَر سُلَيمَان ولا أَنْزَل الله السِّحْر على الْمَلَكَين، ولكِنَّ الشَّيَاطِين كَفَرُوا يُعَلِّمُون النَّاس السِّحْر بِبَابِل هَارُوت ومَارُوت، فَيَكُون حِينئذ قوله: (وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ) [البقرة: 102] مِن الْمُؤَخَّر الذي مَعْنَاه التَّقْدِيم.[73]

وأيده القرطبي، وقال: هذا أولى ما تحمل عليه الآية[74]، ورجحه القاسمي[75]، وتوجيه "ما" في هذه الآية بأنها نافية لا يتناسب مع السياق التالي، قوله تعالى:)فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِۚ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ([البقرة:102]؛ فالتثنية في)مِنْهُمَا (و)يُعَلِّمَانِ (لا يمكن أن تعود على غير الملكين، ودفع المفسرين إلى هذا التوجيه عصمة الملائكة.

المبحثُ الرابع: توافق الرواية الإسرائيلية مع اللغة الناحية الدلالية:

1-4 المطلب الأول: الدلالة المعجمية:

في هذا المطلب سنعرض لبعض الروايات الإسرائيلية التي خالفت فيها المعنى المعجمي للآيات منها:

4-1-1 إن:

ذلك أن بعض المفسرين شكك بنزول المائدة الفعلي في قوله تعالى: (إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِۖ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (112) قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ (113) قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَۖ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (114)) [المائدة:112 - 114]، وسبب تشكيكهم أن الله أوعد الحواريين بالعذاب الشديد في حال كفرهم بعد نزول المائدة؛ فخافوا أن يكفر بعضهم، فاستعفوا عن إنزال المائدة، وظاهر قوله تعالى: (قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ) [المائدة: 115] يختلف مع هذا القول، فقوله تعالى: (قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا

69() راجع نموذج 3-1.

70() سفر التكوين، 39.

71() انظر: اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (911هـ)، تحقيق: أبي عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1417هـ - 1996م،145/1.

72() الطبري، 313/2.

73() المرجع السابق.

74() المصدر السابق.

75() محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (1332هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1418هـ، 335/1

مِّنَ الْعَالَمِينَ) [المائدة: 115] جواب دعاء عيسى: (قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ ۖ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) [المائدة: 114]، جاءت مؤكدة بإنّ تحقيقًا للوعد، والمعنى: إنّي منزّلها عليكم الآن؛ فهو استجابة وليست وعداً[76]، وقرئت منزلها بالتشديد للتنزيل مرة بعد مرة ،[77]أما مائدة الإنجيل؛ فهي خمسة أرغفة وسمكتين[78]، ولم تنزل من السماء.

4-1-2 بضع:

في قوله تعالى: (وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ)[يوسف: 42].

ما ورد في التفاسير من أنه لبث في السجن اثنتا عشرة سنة أو أربعة عشرة سنة، في حين اتفق أكثر المفسرين على أنه مكث من خمس إلى سبع سنين.[79]

وفي المقاييس: وَمِنْ هَذَا الْبَابِ الْبِضْعُ مِنَ الْعَدَدِ، وَهُوَ مَا بَيْنَ الثَّلَاثَةِ إِلَى الْعَشْرَةِ. وَيُقَالُ: الْبِضْعُ سَبْعَةٌ، قَالُوا: وَذَلِكَ تَفْسِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى: (فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ)[يوسف: 42][80] ، وفي اللسان: والبَضْع والبِضْعُ -بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ- مَا بَيْنَ الثَّلَاثِ إِلى الْعَشْرِ[81]، وعليه يمكن الجزم بأن مدة السجن لا تتجاوز العشر سنوات.

4-1-3 طوبى:

قال تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ)[الرعد:29].

ذكرت معظم التفاسير تفسير "طوبى" بأنها شجرة في الجنة، وذكروا من أوصافها ما ذكروا، واستندوا إلى حديث: "طوبى شجرة في الجنة، مسيرة مائة عام، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها"[82]؛ حيث صدق عليها كَعْبًا بقوله: صَدَقَ، وَالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وَالْقُرْآنَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَوْ أَنَّ رَجُلًا رَكِبَ حِقَّةً أَوْ جَذَعَةً ثُمَّ دَارَ بِأَصْلِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ مَا بَلَغَهَا حَتَّى يَسْقُطَ هَرِمًا، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى غَرَسَهَا بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ، وَإِنَّ أَفْنَانَهَا لَمِنْ وَرَاءِ سُورِ الْجَنَّةِ، مَا فِي الْجَنَّةِ نَهْرٌ إِلَّا وَهُوَ يَخْرُجُ مِنْ أَصْلِ تِلْكَ الشَّجَرَة. [83]

وبعودة إلى كتب اللغة :الطُّوبى: الطيّبُ، عَنِ السَّيْرَافِيّ، وطُوبى: فُعْلى مِنَ الطِّيب؛ كأَن أَصله طُيْبَى، فَقَلَبُوا الْيَاءَ وَاوًا لِلضَّمَّةِ قَبْلَهَا.

وَذَهَبَ سِيبَوَيْهِ بِالْآيَةِ مَذْهبَ الدُّعاء، قَالَ: هُوَ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ يَدُلُّكَ عَلَى رَفْعِهِ رفعُ: وَحُسْنُ مَآبٍ، قَالَ ثَعْلَبٌ: وقُرِئَ "طُوبى لَهُمْ وحُسْنَ مآبٍ"، فَجَعَلَ طُوبى مَصْدَرًا، كَقَوْلِكَ: سَقْيًا لَهُ. وَنَظِيرُهُ مِنَ الْمَصَادِرِ الرُّجْعَى، وَاسْتَدَلَّ عَلَى أَن مَوْضِعَهُ نَصْبٌ بِقَوْلِهِ "وحُسْنَ مآبٍ". قَالَ الزَّجَّاجُ: جاءَ فِي التَّفْسِيرِ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ- أَن طُوبى شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ.

وَقِيلَ: طُوبى لَهُمْ حُسْنَى لَهُمْ، وَقِيلَ: خَيْر لَهُمْ، وَقِيلَ: خِيرَةٌ لَهُمْ، وَقِيلَ: طُوبى اسْمُ الْجَنَّةِ بالهِنْدية. وَفِي الصِّحَاحِ: طُوبى اسْمُ شَجَرَةٍ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ أَبو إِسحاق: طُوبى فُعْلى مِنَ الطِّيبِ، وَالْمَعْنَى أَن العيشَ الطَّيِّبَ لَهُمْ، وكلُّ مَا قِيلَ مِنَ التَّفْسِيرِ يُسَدِّد قولَ النَّحْوِيِّينَ أنها فُعْلى مِنَ الطِّيبِ. وَرُوِيَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ أَنه قَالَ: طُوبى اسْمُ الْجَنَّةِ بِالْحَبَشِيَّةِ.

وَقَالَ عِكْرِمَةُ: طُوبى لَهُمْ مَعْنَاهُ الحُسْنَى لَهُمْ، وَقَالَ قَتَادَةُ: طُوبى كَلِمَةٌ عَرَبِيَّةٌ، تَقُولُ الْعَرَبُ: طُوبى لَكَ إِن فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا.[84]

ويظهر أنه لا يوجد في اللغة ما يدل على أن "طوبى" اسم شجرة في الجنة، أو اسم الجنة، كما أنه لا يوجد أحاديث تربط بين تفسير كلمة "طوبى" بهذه الآية بالشجرة، والأفضل ألا نحصر المعنى بمعنى الشجرة طالما أن لها معنى واسع يشمل الفضل كله.

4-1-4 النعاج:

قال تعالى:)قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ([ص: 24].

حيث ادعى المفسرون أن النعجة بمعنى المرأة؛ كالطبري، والقرطبي، واستشهدوا بأشعار كثيرة، مثل قول الشاعر:

76() انظر: معاني القرآن (207ه) للفراء، دارالكتب المصرية، مصر، ط1، 326/1، فتح القدير، محمد الشوكاني اليمني (1250ه)، دار ابن كثير، دمشق، 1414ه، 206/2.

77() التيسير في القراءات القرآنية، أبو عمر الداني (444ه)، تحقيق: حاتم الضامن، مكتبة الرشد، العراق.

78() إنجيل متى 14، مرقس 6، لوقا 9، يوحنا 6.

79() معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (510ه) تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1420 ه 493/2

80() معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (395ه) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399ه - 1979م، 275/1.

81() لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (711ه)، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1414 ه، 15/8.

82() مسند الإمام أحمد، الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة قرطبة، القاهرة.

83() ذكره البغوي بإسناد ضعيف، فيه زياد مولى بني مخزوم، 317/4.

84() لسان العرب، 565/1.

أنا أبوهن ثلاث هنه	رابعة في البيت صغراهنه
ونعجتي خمسًا توفيهنه	ألا فتى سمح يغذيهنه
طي النقا في الجوع يطويهنه	ويل الرغيف ويله منهنه[85]

وسبب تأويلهم للنعجة بالمرأة هو اعتمادهم على رواية مفادها: أَن دَاوُد -عَلَيْهِ السَّلَام- كان قد أعجب بامرأة، وَكَانَ زَوجهَا أو خطيبها على اختلاف الروايات غازيًا فِي سبيل الله؛ فأراد أن يتزوجها أو أن يتخذها لنفسه فحملت على اختلاف الروايات أيضًا؛ فدبر داود -عليه السلام- لقتل زوجها في المعركة بأن جعله في الصفوف الأمامية[86]، ونفى بعض المفسرين هذه الرواية[87]، لضعف الأسانيد ومخالفتها لعصمة الأنبياء.

ومن المفسرين من ذكر أن ذنب داود الذي استغفر منه ليس هو بسبب المرأة، وإنما هو بسبب الخصمين، وكونه قضى لأحدهما قبل سماع كلام الآخر، قال ابن حزم -رحمه الله- بعد أن ساق الآيات السابقة: وهذا قول صادق صحيح لا يدل على شيء مما قاله المستهزئون الكاذبون المتعلقون بخرافات ولَّدها اليهود، وإنما كان ذلك الخصم قومًا من بني آدم بلا شك، مختصمين في نعاج من الغنم على الحقيقة بينهم، بغَى أحدهما على الآخر على نص الآية.

ومن الوجهة اللغوية؛ فإن النُّونُ وَالْعَيْنُ وَالْجِيمُ: أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى لَوْنٍ مِنَ الْأَلْوَانِ. مِنْهُ النَّعَجُ: الْبَيَاضُ الْخَالِصُ، وَجَمَلٌ نَاعِجٌ، حَسَنُ اللَّوْنِ كَرِيمٌ. وَمِنْهُ النَّعْجَةُ مِنَ الضَّأْنِ، وَيَكُونُ مِنْ بَقَرِ الْوَحْشِ وَمِنْ شَاءِ الْجَبَلِ. يُقَالُ لِإِنَاثِ هَذِهِ الْأَجْنَاسِ نِعَاجٌ. وَنِعَاجُ الرَّمْلِ: الْبَقَرُ... وَامْرَأَةٌ نَاعِجَةٌ: حَسَنَةُ اللَّوْنِ)[88] ؛ وعليه فإنه لا مبرر لاعتبار أنها تدل على المرأة، أما الأشعار فهي تدل على اللون أو أنه من قبيل المجاز.

4-1- 5 السكينة:

قال تعالى: (وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)[البقرة:248].

ذكر المفسرون معاني للسكينة؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ رِيحٌ هَفَّافَةٌ لَهَا وَجْهٌ كَوَجْهِ الْإِنْسَانِ، ويقال هي سحابة رقيقة، وقال بعضهم: السَّكِينَةُ لَهَا رَأْسٌ كَرَأْسِ الْهِرَّةِ، وَجَنَاحَانِ، والسَّكِينَةُ لَهَا جَنَاحَانِ وَذَنَبٌ، وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ هِيَ رَأْسُ هِرَّةٍ مَيِّتَةٍ، وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّمَا هِيَ طَسْتٌ مِنْ ذَهَبٍ مِنَ الْجَنَّةِ كَانَ يُغْسَلُ فِيهِ قُلُوبُ الْأَنْبِيَاءِ، وَقَالَ آخَرُونَ: السَّكِينَةُ: رُوحٌ مِنَ اللَّهِ يَتَكَلَّمُ أو أنها السَّكِينَةُ: مَا يَعْرِفُونَ مِنَ الْآيَاتِ فَيَسْكُنُونَ إِلَيْهِ، وَقَالَ آخَرُونَ: السَّكِينَةُ: الرَّحْمَةُ، وَقَالَ آخَرُونَ: السَّكِينَةُ: هِيَ الْوَقَارُ والسكينة لغة السِّينُ وَالْكَافُ وَالنُّونُ أَصْلٌ وَاحِدٌ مُطَّرِدٌ، يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الِاضْطِرَابِ وَالْحَرَكَةِ، يُقَالُ: سَكَنَ الشَّيْءُ يَسْكُنُ سُكُونًا فَهُوَ سَاكِنٌ.[89]

ويقول الزَّجَّاجُ: مَعْنَاهُ فِيهِ مَا تَسْكُنُون بِهِ إِذَا أَتاكم؛ قَالَ ابْنُ سِيدَهْ: قَالُوا: إِنَّهُ كَانَ فِيهِ مِيرَاثُ الأَنبياء وعصا موسى وعمامة هارون الصَّفْرَاءُ، جَعَلَ اللَّهُ لَهُمْ فِي التَّابُوتِ سَكِينة لَا يَفِرُّون عَنْهُ أَبدًا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ إِلَيْهِ[90]، وربما كان المعنى الذي ذكره الزجاج هو الصحيح، والله أعلم ففيه ما يسكنون إليه.

4-1-6 ويل:

في قوله تعالى: (وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ)[المطفّفين:1].

ذكرت التفاسير روايات كثيرة لمعنى "الويل"، منها ما ورد في تفسير مقاتل: الويل واد في جهنم بعده مسيرة سبعين سنة، فيه تسعون ألف شعب، في كل شعب سبعون ألف شق، في كل شق سبعون ألف مغار، في كل مغار سبعون ألف قصر، في كل قصر سبعون ألف تابوت من حديد، وفي التابوت سبعون ألف شجرة، فى كل شجرة سبعون ألف غصن من نار، في كل غصن سبعون ألف ثمرة، في كل ثمرة دودة طولها سبعون ذراعًا، تحت كل شجرة سبعون ألف ثعبان وسبعون ألف عقرب، فأما الثعابين فطولهن مسيرة شهر في الغلظ مثل الجبال، وأنيابها مثل النخل، وعقاربها مثل البغال الدهم، لها ثلاثمائة وستون فقار، في كل فقار قلة سم[91]،وذكرت تفاسير أخرى روايات بهذا المعنى.[92]

85 ذكرته معظم التفاسير.

86() الدر المنثور، 155/7، وانظر: تفسير ابن جرير، والقرطبي ، ولباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (741هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1415هـ، 403/4.

87() انظر: ابن كثير7-51، وسيد قطب.

88() مقاييس اللغة، 449/5.

89() مقاييس اللغة، 88/3.

90() لسان العرب، 213/13.

91() تفسير مقاتل بن سليمان، 621/4.

92() انظر: القرطبي، وانظر: الخازن، 403/4.

وانحصر تفسيرمعظم المفسرين لكلمة "الويل" بالهلاك[93]، يقول الرازي: الْوَيْلُ كَلِمَةٌ تُذْكَرُ عِنْدَ وُقُوعِ الْبَلَاءِ، يُقَالُ: وَيْلٌ لَكَ، وَوَيْلٌ عَلَيْكَ[94].، والويل لغة: كَلِمَةٌ مِثْلَ وَيْحٍ، إِلَّا أَنها كَلِمَةُ عَذاب، يُقَالُ: وَيْلَهُ ووَيْلَكَ ووَيْلي...[95] ، وهو المعنى الصحيح، والله أعلم.

4-1-7 الرعد:

قال تعالى: (وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ) [الرعد: 13].

ذكر معظم أهل التفسير حديث: "الرعدُ مَلَكٌ"، وهذا الحديث لم يثبت، وأنه من الإسرائيليات .[96]

والرعد لغة: الصَّوْتُ الَّذِي يُسْمَعُ مِنْ السَّحَابِ، وأَرْعَد الْقَوْمُ وأَبرَقوا: أَصابهم رَعْدٌ وَبَرْقٌ، ورعَدت السَّمَاءُ تَرْعُد وترعَد رعْدًا ورُعودًا، وأَرْعَدت: صَوَّتَتْ للإمطار.[97]

4-1-8 الأحرف المقطعة في القرآن الكريم (ق، ن):

قال تعالى: (قٓ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ)[ق: 1].

ذكرت معظم التفاسير أن)ق (اسم الجبل المحيط بالأرض[98]، وفي تفسير القرطبي وَاخْتُلِفَ فِي مَعْنَى)ق (مَا هُوَ؟ فَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ وَعِكْرِمَةُ وَالضَّحَّاكُ: هُوَ جَبَلٌ مُحِيطٌ بِالْأَرْضِ مِنْ زُمُرُّدَةٍ خَضْرَاءَ اخْضَرَّتِ السَّمَاءُ مِنْهُ، وَعَلَيْهِ طَرَفَا السَّمَاءِ وَالسَّمَاءُ عَلَيْهِ مُقْبِيَّةٌ، وَمَا أَصَابَ النَّاسَ مِنْ زُمُرُّدٍ كَانَ مِمَّا تَسَاقَطَ مِنْ ذَلِكَ الْجَبَلِ. وَرَوَاهُ أَبُو الْجَوْزَاءِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ.[99]

ورد هذا الرأي الرازي وَضعفه لِوُجُوهٍ: أَحَدُهَا: أَنَّ الْقِرَاءَةَ الْكَثِيرَةَ الْوَقْفُ، وَلَوْ كَانَ اسْمًا جَبَلٍ لَمَا جَازَ الْوَقْفُ فِي الْإِدْرَاجِ؛ لِأَنَّ مَنْ قَالَ ذَلِكَ قَالَ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَقْسَمَ بِهِ، وَثَانِيهَا: أَنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَذُكِرَ بِحَرْفِ الْقَسَمِ، كَمَا فِي قوله تعالى:)وَالطُّورِ ([الطور:1] وَذَلِكَ لِأَنَّ حَرْفَ الْقَسَمِ يُحْذَفُ؛ حَيْثُ يَكُونُ الْمُقْسَمُ بِهِ مُسْتَحِقًّا؛ لِأَنْ يُقْسَمَ بِهِ، كَقَوْلِنَا اللَّهِ لَأَفْعَلَنَّ كَذَا، وَاسْتِحْقَاقُهُ لِهَذَا غَنِيٌّ عَنِ الدَّلَالَةِ عَلَيْهِ بِاللَّفْظِ وَلَا يَحْسُنُ أَنْ يُقَالَ: زَيْدٍ لَأَفْعَلَنَّ، ثَالِثُهَا: هُوَ أَنَّهُ لَوْ كَانَ كَمَا ذَكَرَ لَكَانَ يُكْتَبُ قَافٌ مَعَ الْأَلِفِ وَالْفَاءِ كَمَا يُكْتَبُ)فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ([الغاشية:12]؛ وَيُكْتَبُ:)أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥوَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِۦوَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ([الزُّمَر: 36]، وَفِي جَمِيعِ المصاحف يكتب حرف ، رابعها: هُوَ أَنَّ الظَّاهِرَ أَنَّ الْأَمْرَ فِيهِ كَالْأَمْرِ فِي ص، ن، حم، وَهِيَ حُرُوفٌ لَا كَلِمَاتٌ، وَكَذَلِكَ فِي)قٓ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ([ق :1]؛ فَإِنْ قِيلَ: هُوَ مَنْقُولٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ؛ نَقُولُ الْمَنْقُولُ عَنْهُ أَنَّ قَافْ اسْمُ جَبَلٍ، وَأَمَّا أَنَّ الْمُرَادَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ بِهِ ذَلِكَ فَلَا، وَقِيلَ: إِنَّ مَعْنَاهُ قُضِيَ الْأَمْرُ، وَفِي)صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِي ٱلذِّكْرِ ([ص: 1] صَدَقَ اللَّهُ، وَقِيلَ: هُوَ اسْمُ الْفَاعِلِ مِنْ قَفَا يقفو، وص مِنْ صَادَ مِنَ الْمُصَادَاةِ، وَهِيَ الْمُعَارَضَةُ، مَعْنَاهُ: هَذَا قَافٍ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ بِالْكَشْفِ.[100]

وقريب من هذا النموذج ما ورد من روايات في تفسير)نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ([القلم: 1] في قوله تعالى:)نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ([القلم:1] فقد ورد عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال: "أوّل ما خلق الله من شيء القلم، فجرى بما هو كائن، ثم رفع بخار الماء، فخلقت منه السماوات، ثم خلق "النون" -يعني الحوت- فبسطت الأرض على ظهر النون، فتحرّكت الأرض فمادت، فأثبت بالجبال؛ فإن الجبال لتفخر على الأرض، قال: وقرأ:)نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ([القلم: 1] [101]وهذا الأثر موقوف من كلام ابن عباس، وليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، والغالب أن ابن عباس -رضي الله عنهما- أخذه عن كعب الأحبار، أو عن كتب بني إسرائيل.

وروي عن ابن عباس أيضًا: أنه الدواة، وقد أنكر الزمخشري ورود "نون" بمعنى الدواة، في اللغة، يقول: وأمّا قولهم: هو الدواة؛ فما أدرى أهو وضع لغوى أم شرعي؟

ولا يخلو إذا كان اسمًا للدواة من أن يكون جنسًا أو علمًا؛ فإن كان جنسًا؛ فأين الإعراب والتنوين؟ وإن كان علمًا؛ فأين الإعراب؟ وأيهما كان فلا بد له من موقع في تأليف الكلام، فإن قلت:

93() انظر: الطبري 185/24، والزمخشري 719/4، والبحر المحيط 426/10، والبغوي 221/5، وابن كثير 843/8، وغيرها.

94() مفاتيح الغيب، الرزي 82/31.

95() لسان العرب، 737/11.

96() وقد فصل القول فيه الباحث حاكم عبيسان المطيري في بحثه: "دراسة حديثية نقدية لحديث الرعد ملك ،مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية، العدد 2 عام 2005.

97() لسان العرب، 179/3.

98() تفسير مقاتل، الجزء الثاني ص 1444، والطبري، 400/21، والقرطبي، 4/17، وذكرها البغوي، 270/4.

99()القرطبي، 4/17.

100() الرازي، 122/28,

101() الطبري في "جامع البيان": 23، تفسير ابن كثير، (210/8) 140، وغيرهم كثير.

هو مقسم به؛ وجب إن كان جنسًا أن تجرّه وتنوّنه، ويكون القسم بدواة منكرة مجهولة، كأنه قيل: ودواة والقلم، وإن كان علمًا أن تصرفه وتجرّه، أو لا تصرفه وتفتحه للعلمية والتأنيث، وكذلك التفسير بالحوت[102]، وهو قريب من احتجاج الرازي في موضع "ق"، وتبقى الحروف المقطعة مادة خصبة للتفسير والتأويل تتجدد بتجدد الأزمان، ومن هذه التفسيرات محاولة تفسيرها بالعودة إلى لغات أخرى كالسريانية، وهو من المداخل التي يجب الحذر والابتعاد عنها.

2-4 الحقيقة والمجاز:

قضية الحقيقة والمجاز من أهم المؤثرات في التفسيرات القرآنية، وهي من أبرز نقاط الخلاف بين الفرق والمدارس الفكرية القرآنية؛ فانقسم المشتغلون بالتفسير القرآني بين من يؤيد وجود المجاز في القرآن الكريم، وربما اعتبر أن اللغة كلها مجاز، وبين من يرفضه، وربما تجاوز رفضه له إلى رفضه لوجود المجاز باللغة بشكل عام، ونشأ عن هذا الخلاف اختلاف في تأويل النص القرآني، ومن النماذج المتعلقة بالإسرائيليات، والتي يمكن ردها إلى اختلاف فهم الآية بين الحقيقة والمجاز:

4-2-1مكاناً علياً:

قال تعالى:)وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ([مريم:57].

ذكرت التفاسير روايات كثيرة حول رفع إدريس -عليه السلام- إلى السماء، واختلفوا في أنه حي في السماء أم ميت؟ وفسر آخرون الآية بأن الرفع رفع منزلة ومكانة وشرف.[103]

وعلى هذا هناك ثلاثة توجيهات للآية: أولها: أنه رفع شرف، والثاني: أنه رفعه للسماء حيًا، والثالث: أنه رفعه للسماء وجرى عليه الموت.

والحقيقة: أن الأخبار التي دلت على أن رفعه كان قبل موته ضعيفة السند، أما أنه رفعه إلى السماء الرابعة والسادسة استنادًا إلى أحاديث الإسراء فلا يفرقه عن باقي الأنبياء في الحديث، وعليه فإن أغلب الظن أن الرفع كان رفع مكانة وشرف.

4-2-2- فمحونا:

قال تعالى: (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا) [الإسراء: 12].

يقول الطبري: حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن عبد العزيز بن رُفيع، عن أبي الطُّفيل، قال: قال ابن الكَوّاء لعليّ: يا أمير المؤمنين، ما هذه اللَّطْخة التي في القمر؟ فقال: ويْحَك أما تقرأ القرآن: (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا)[الإسراء: 12]، فهذه محوه .[104]

والحقيقة: أنه عندما يُرى القمر بالعين المجردة من الأرض؛ يظهر مثل كرة ملساء تتخللها بقع رمادية مُعْتمة وأخرى فاتحة، وعند الاستعانة بمنظارٍ (تلسكوب) تتضح الظواهر التي شاهدها لأول مرة العالم الإيطالي جاليليو في القرن السابع عشر الميلادي، فالبقع المعتمة على سطح القمر سهول منبسطة عريضة، أما الأجزاء الفاتحة من سطح القمر خشنة وجبلية، وتُسمى هذه المساحات بالأراضي المرتفعة.[105]

أما عن المحو: فالْمِيمُ وَالْحَاءُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى الذَّهَابِ بِالشَّيْءِ، ومَحَتِ الرِّيحُ السَّحَابَ: ذَهَبَتْ بِهِ، وَتُسَمَّى الشَّمَالُ مَحْوَةً؛ لِأَنَّهَا تَمْحُو السَّحَابَ، وَمَحَوْتُ الْكِتَابَ أَمْحُوهُ مَحْوًا، وَامَّحَى الشَّيْءُ: ذَهَبَ أَثَرُهُ، كَذَلِكَ امْتَحَى.[106]

فالمعنى أن الليل والنهار آيتان في أنفسهما؛ فتكون الإضافة في آية الليل وآية النهار للتبيين كإضافة العدد إلى المعدود، والمعنى فمحونا الآية التي هي الليل أذهبناها، وجعلنا الآية التي هي النهار مبصرة .[107]

5 - المبحث الخامس: توافق الرواية الإسرائيلية مع السياق:

وللسياق الداخلي والخارجي أثر كبير في فهم النص، ولا يخلو نموذج من التعويل عليه إلا أن نماذج هذا المبحث، لا يمكن الوصول إلى فهمها إلا باستناد كلي على السياق، ومنها :

102() الزمخشري، 584/4.

103() جامع البيان، 212/18، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (685هـ) تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1418هـ، 13/4، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (1376هـ)، عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى، 1420هـ-2000 م، 496/1.

104() الطبري، 517/14.

105() ويكبيديا (الموسوعة الحرة) على الشبكة الإلكترونية.

106() مقاييس اللغة، 303/5.

107() تفسير النسفي "مدارك التنزيل وحقائق التأويل"، أبو البركات النسفي (710هـ)، تحقيق: يوسف علي بدوي، دار الكلم الطيب، بيروت، 1992م، 248/2.

1-5 السياق الداخلي:

الاختلاف حول الذبيح في قوله تعالى: (فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (101) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (102)) [الصافات: 101- 102] وذكر الذبح كله، ثم قال الله بعد أن ذكر الذبح (إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (106) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (107) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (108) سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (109) كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (110) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (111) وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (112) وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ) [الصافات: 106 - 112]، وورد في سفر التكوين: "وَحَدَثَ بَعْدَ هذِهِ الْأُمُورِ أَنَّ اللهَ امْتَحَنَ إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ لَهُ: يَا إِبْرَاهِيمُ!. فَقَالَ: هأَنَذَا فَقَالَ: خُذِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ، الَّذِي تُحِبُّهُ، إِسْحَاقَ، وَاذْهَبْ إِلَى أَرْضِ الْمُرِيَّا، وَأَصْعِدْهُ هُنَاكَ مُحْرَقَةً عَلَى أَحَدِ الْجِبَالِ الَّذِي أَقُولُ لَكَ"[108]. وورد أيضًا: فاخذ ابراهيم حطب المحرقة، ووضعه على إسحاق ابنه، وأخذ بيده النار والسكين، فذهبا كلاهما معًا، وكلم إسحاق إبراهيم أباه، وقال: يا أبي، فقال: هأنذا يا ابني، فقال: هوذا النار والحطب، ولكن أين الخروف للمحرقة"[109]

أما في كتب المفسرين: فليس هناك اتفاق على اسم الذبيح؛ فممن قال: إنه إسحاق سيدنا عمر، وسيدنا علي -رضي الله عنهما، والعباس، وعبدالله بن مسعود، وكعب الأحبار ،[110]وابن جرير[111]، وابن خلدون[112]، ... وغيرهم.

وممن رجح أن الذبيح هو إسماعيل -عليه السلام- عبد الله بن عمر، وابن عباس، وسعيد بن المسيب، والسدي، والحسن البصري، ومجاهد، والربيع بن أنس، ومحمد بن كعب القرظي، والكلبي، وأبي عمرو بن العلاء[113]، وقال الزجاج: الله أعلم أيهما هو الذبيح لكثرة الاختلاف في المسألة .[114]

وبالعودة للسياق القرآني: فقد استدل من قال أن الذبيح إسحاق بأنه ليس في القرآن دليل واحد على أن الله بشر إبراهيم بإسماعيل، فالمبشر به في القرآن هو إسحاق:)وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ([الصافات: 112]، والآيات تدل على أن الذبيح هو الغلام الذي بشرت به الملائكة لسيدنا إبراهيم وزوجته السيدة سارة.

أما من قال: إن الذبيح إسماعيل -عليه السلام- فاحتجوا بسياق الآيات التي بشرت بإسحاق بعد ذكر الذبح، ولا يمكن أن تكون البشارة مرتين، كما أنه بشر بإسماعيل غلامًا حليمًا، أما إسحاق فبشر به غلامًا عليمًا، كما استدلوا أن الذبيح هو إسماعيل أن الله سبحانه وتعالى يقول: [يخاطب سارة])وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ([هود: 71] فلا يعقل أن يبتلي إبراهيم بذبح إسحاق وهو من أخبره: إن ذرية إسحاق يكون منها يعقوب، كما استدلوا بسياقات خارجية منها أن الذبح كان بمكة، ولم يذكر أن إسحاق ارتحل إلى مكة، بل من ارتحل هو إسماعيل.

ومن هذا الباب تعليلهم لغضب سيدنا موسى -عليه السلام- عندما ألقى الألواح؛ حيث ذكرت التفاسير روايات فحواها: أنه غضب لإعطاء أمة سيدنا محمد ميزات لم يعطها لغيرهم من الأمم[115]، فإذا عدنا للسياق الدلالي وجدنا أن سبب غضب موسى من قومه تبديلهم لما تركهم عليه، واتخاذهم العجل، قال تعالى: (وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) [الأعراف:150].

كما يمكن الاستدلال بسياقات آيات أخرى، ومنه قصة عوج بن عنق[116]ونجاته من الغرق مع كفره، يقول البغوي قِيلَ: مَا نَجَا مِنَ الْكُفَّارِ مِنَ الْغَرَقِ غَيْرَ عُوجِ بْنِ عُنُقٍ، كَانَ الْمَاءُ إِلَى حُجْزَتِهُ، وَكَانَ سَبَبُ نَجَاتِهِ أَنَّ نُوحًا احْتَاجَ إِلى خشب الساج لِلسَّفِينَةِ، فَلَمْ يُمْكِنْهُ نَقْلُهُ، فَحَمَلَهُ عُوجٌ إِلَيْهِ مِنَ الشَّامِ، فَنَجَّاهُ الله تعالى من الغرق.[117]

وهذا يتناقض مع صريح الآيات، كقوله تعالى: (وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا) [نوح:26] وقوله تعالى: (فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ) [الأعراف: 64]، وقوله تعالى: (وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا

108() سفر التكوين، 22.

109() تكوين 22: 6-7.

110() زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين الجوزي (597ه)، عبد الرزاق المهدي، دار االكتاب العربي، بيروت، 1422م، 547/3.

111() تفسير ابن جرير، 580/19.

112() تاريخ ابن خلدون "كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر"، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1965م.

113() انظر البداية والنهاية ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (774ه) ، دار الفكر، 1986 م 149/2.

114() معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم الزجاج، (311ه)، عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت، 1998م، 311/4.

115() انظر: تفسير ابن جرير، 450/10.

116() ويقال: ابن عناق، كان موجودًا من قبل نوح إلى زمان موسى، ويقولون: كان كافرًا متمردًا جبارًا عنيدًا، ويقولون: كان لغير رشدة، بل ولدته أمه عنق بنت آدم من زنا، وإنه كان يأخذ من طوله السمك من قرار البحار ويشويه في عين الشمس. انظر: البداية والنهاية،114/1.

117()البغوي، 451/2.

لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (76) وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (77)) [الأنبياء: 76 - 77] ،وقوله تعالى: (فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (119) ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ (120)) [الشعراء: 119- 120].

2-5 السياق الخارجي:

وربما خالفت الرواية سياق الحال، كما في قوله تعالى: (وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ۚ قَالَ يَا قَوْمِ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ)[هود: 78]، وقوله تعالى: (قَالَ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ)[الحِجر: 71].

حيث وجهها المفسرون بأن المعنى: هؤلاء بنات أمتي تزوجوهن، وهذا التوجيه مستمد من سياق الحال، فلا يجوز لنبي أن ينهى عن فاحشة ويدعو إلى فاحشة أخرى، في حين يؤيد السياق الداخلي معنىً آخر.

ومنه قوله تعالى:)رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ([ص: 33]؛ حيث اختلفت الآثار الموقوفة والمقطوعة في تفسير هذه الآية وانقسموا إلى رأيين.

الأول: أنه القتل، من قولهم مسح علاوته إذا ضرب عنقه، وفي المقاييس: الْمِيمُ وَالسِّينُ وَالْحَاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ، وَهُوَ إِمْرَارُ الشَّيْءِ عَلَى الشَّيْءِ بَسْطًا، وَمَسَحْتُهُ بِيَدِي مَسْحًا... وَالْمَسْحُ يَكُونُ بِالسَّيْفِ أَيْضًا عَلَى جِهَةِ الِاسْتِعَارَةِ. وَمَسَحَ يَدَهُ بِالسَّيْفِ: قَطَعَهَا[118]، وأيد هذا القول قتادة، والحسن البصري، والسدي، وأبو عبيدة يقول :(مجازها يمسح مسحًا، والمعنى يضرب، يقال مسح علاوته، أي: ضربها) .[119]

والثاني : أنه المسح باليد على أعراف الخيل وعراقيبها حبًا لها، وإعجابًا بها، وهو قول ابن عباس، واختاره الطبري، فقال: "وهذا القول الذي ذكرناه عن ابن عباس أشبه بتأويل الآية؛ لأن نبي الله لم يكن إن شاء الله ليعذب حيوانًا بالعرقبة، ويهلك مالًا من ماله بغير سبب، سوى أنه اشتغل به عن صلاته بالنظر إليها، ولا ذنب لها في اشتغاله بالنظر إليها).[120]

وعليه فإن اللغة تؤيد المعنيين، والسياق الداخلي ربما يميل إلى معنى القتل، والسياق الخارجي الذي اعتد به العلماء ربما يميل لمعنى التودد والتحبب، والحقيقة: أنه لا يمكن الجزم بالمعنى الفعلي، وذلك بلا شك بسبب تأثير الروايات الإسرائيلية على القارئ، سواءً حكمنا بصحتها أو خطئها.

ولذلك فقد عمد المفسرون في هذه الآية والآية السابقة لها إلى الإعتماد على سياقات خارجية تتناسب وعصمة الأنبياء وأخلاقهم أو عزوها إلى اختلاف الإعتبارات الإجتماعية باختلاف الزمن.

النتائج:

- حوت كتب التفسير الكثير من الروايات الإسرائيلية، وتراوحت هذه الكتب بين قبول هذه الإسرائيليات أو السكوت عنها أو رفضها.
- أنزل الله كتابه بلسان عربي مبين وعليه فإن اللغة هي الوسيلة الأولى لفهم النص القرآني وعليه لا يمكن أن تتعارض اللغة مع النقول المروية الصحيحة .
- يظهر أن كثيرًا من الروايات الإسرائيلية لا تتوافق مع اللغة سواءً من الناحية الصرفية أو النحوية أو الدلالية، وعليه يمكن نبذها من التفاسير، خاصة أن منها روايات مسيئة للنص القرآني والحديث النبوي.

التوصيات:

من الجيد تخليص كتب التفسير من الروايات الإسرائيلية التي ربما أساءت للقرآن الكريم والحديث النبوي بإلصاقها فيه، وكانت بابًا للطعن في الآيات، وذلك بتحديد طرق التفسير الصحيحة والاعتماد عليها، وأهمها اللغة العربية.

المراجع

- السيوطي، عبد الرحمن (1974)، "الإتقان في علوم القرآن"، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة.
- مصطفى، أبو السعود (982)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء الترث، بيروت.
- ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (774هـ) ،البداية والنهاية ، دار الفكر، 1986 م 149/2.
- الذهبي، محمد حسين (1990)، الإسرائيليات في التفسير والحديث، مكتبة وهبة.

118() مقاييس اللغة، 322/5.

119() مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري، (209هـ)، تحقيق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجي، القاهرة الطبعة1381 هـ، 183/2.

120() الطبري، 87/20.

- نعناعة، رمزي (1970)، الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير، الطبعة الأولى.
- أبو شهبة، محمد (1408)، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، مكتبة السنة، مصر.
- أبو رية، محمود (1975)، أضواء على السنة المحمدية، الطبعة السادسة، دار المعارف، القاهرة.
- البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (685هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، 1418هـ
- الزركشي، بدر الدين (794)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، لبنان، 1957م.
- ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1965م.
- العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله (616هـ)، التبيان في إعراب القرآن، المحقق: علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- الجرجاني، علي (816)، التعريفات، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت، 1993.
- أبو حيان الأندلسي (745)، تفسير البحر المحيط، تحقيق: صدقي جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ
- الضحاك، تفسير الضحاك، تحقيق: محمد شكري الزاويتي، دار السلام، القاهرة، ط1، 1999م.
- ابن كثير (744)، تفسير القرآن العظيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971م.
- الطيار، مساعد بن سليمان بن ناصر، التفسير اللغوي للقرآن الكريم، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، 1432هـ
- أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (150هـ)، تفسير مقاتل بن سليمان، المحقق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة: الأولى، 1423هـ
- الذهبي، محمد (1998م)، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة.
- الفراء (207)، معاني القرآن، دارالكتب المصرية، مصر، ط1.
- الداني، أبو عمر (444هـ)، التيسير في القراءات القرآنية، تحقيق: حاتم الضامن، مكتبة الرشد، العراق.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (1376هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1420هـ -2000 م.
- القرطبي، أبو عبدالله (671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني، دار الكتب العلمية، القاهرة، 1964م.
- الطبري، محمد بن جرير (310م)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: عبدالله التركي، دار هجر للطباعة.
- الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى (279هـ)، الجامع الكبير- سنن الترمذي، المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998 م.
- السيوطي، عبد الرحمن، الدر المثور، دار الفكر، بيروت.
- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، 1992م.
- الألوسي، شهاب الدين (1270)، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن مكي، عبدالله ، شرح كتاب الحدود في النحو، تحقيق: متولي الدميري، الطبعة الأولى، 1988م.
- ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، تحقيق: السيد أحمد صقر، مطبعة الحلبي، القاهرة.
- البخاري، صحيح البخاري.
- العلوي، يحيى (745)، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العصرية، بيروت، 1424م.
- الشوكاني، محمد اليمني (1250)، فتح القدير، دار ابن كثير، دمشق، 1414.
- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (303هـ)، فضائل القرآن تحقيق: د. فاروق حمادة، دار إحياء العلوم / دار الثقافة، بيروت / الدار البيضاء، الطبعة: الثانية، 1413هـ - 1992م.
- كتاب الحياة (الكتاب المقدس).
- الزمخشري، أبو القاسم (523هـ)، الكشاف في حقائق التنزيل، دار الكتاب العربي بيروت، 1407م.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (911هـ)، اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، تحقيق: أبي عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1417هـ - 1996م.
- الخازن (741هـ)، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، لباب التأويل في معاني التنزيل، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقى (711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة، 1414هـ

- القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق (1332ه)، محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1418ه
- ابن المثنى، أبو عبيدة معمر التيمى البصري (209ه)، مجاز القرآن، تحقيق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجى، القاهرة، الطبعة: الثانية،1381 ه
- جولد تسهر، المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن الكريم، ترجمة: علي حسن عبد القادر، طبعة دار العلوم.
- الإمام أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة قرطبة القاهرة.
- البغوي، محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي (510ه)، معالم التنزيل في تفسير القرآن - تفسير البغوي . تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، 1420ه
- معجم قوجمان.
- الفراء (207)، معاني القرآن، دارالكتب المصرية، مصر، ط1.
- إبراهيم الزجاج (311ه)، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت، 1998م.
- خبير، عبد اللطيف، معجم القراءات، دار سعد الدين.
- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسين (395ه)، معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979م.
- الراغب الأصفهانى، أبو القاسم الحسين بن محمد (502ه)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، 1412ه
- الجوزي، جمال الدين (597)، المسيرفي علم التفسير، عبد الرزاق المهدي، دار االكتاب العربي، بيروت، 1422ه
- الشاطبي، أبو إسحاق، الموافقات، تحقيق: أبي عبيدة آل سلمان، دار عثمان، السعودية، الطبعة: الثانية، 1997م.